المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

تجليات الحجاج في الحوار القرآنيّ
مع غير البشر مقاربة لسانيَّة تداوليَّة

Manifestations of the Argument In The Quranic Dialogue with non-humans Pragmatic Linguistic Approach

بقلم

آمنة محمد أكبر البلوشي

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها- تخصص اللسانيات اللغوية جامعة الوصل
دبي، الإمارات العربية المتحدة.

الترقيم الدولي/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار ديسمبر ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

تجليات الحجاج في الحوار القرآنيّ مع غير البشر مقاربة لسانيَّة تداوليَّة

آمنة محمد أكبر البلوشي

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها- تخصص اللسانيات اللغوية جامعة الوصل- دبي، الإمارات العربية المتحدة.

البريد الإلكتروني: arabiaa@hotmail.com

الملخص

يرمي البحث إلى تطبيق نظريات الحجاج في نصوص الحوار القرآنيّ مع غير البشر؛ لاستنباط ما يوجد في طياتها من آليات حجاجية ووسائل إقناع من منظور تداوليّ، اعتمادًا على أقوال المفسّرين، وتطبيقًا على السلالم الحجاجية، وفق نظرية ديكرو الحجاجية.

عولجت مشكلة البحث في خطة توزعت على خمسة مباحث، هي: الحجاج في قول الله تعالى للملائكة، الحجاج في قوله تعالى للسموات والأرض، ثم في قوله تعالى للجن، تلاه الحجاج في حوار سليمان عليه السلام مع الهدهد، ثم الحجاج في الحوار مع الجوارح والجلود.

اعتمادًا على المنهجين الوصفي والتداوليّ أجْلَتْ الدراسةُ تنوعَ الأساليب الحجاجية التي استعملها القرآن الكريم في عرض مادة الحوار، والكشف عنه ما بين الطول والقصر والشدة واللين، وفق ما يقتضيه السياق مع كل متحاور.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الحوار القرآنيّ، التداوليَّة، السلالم الحجاجية.

Manifestations of the Argument In The Quranic Dialogue with non-humans Pragmatic Linguistic Approach

Amna Muhammad Akbar Al Balushi
Doctorate in Arabic Language and Literature - Specialization in Linguistics, Al Wasl University - Dubai, United Arab Emirates.
Email: arabiaa@hotmail.com

Abstract

The research aims to apply Al-Hajjaj's theories in the texts of Quranic dialogue with non-humans. To deduce the argumentative mechanisms and means of persuasion within it from a deliberative perspective, based on the statements of commentators, and in application of the argumentative ladders.

The research problem was dealt with in a plan that was divided into five sections: Al-Hajjaj in the words of God Almighty to the angels, to the heavens and the earth, and to the jinn, followed by Al-Hajjaj in the dialogue of Solomon, peace be upon him, with the hoopoe, then Al-Hajjaj in the dialogue with the raptors and skins.

Relying on the descriptive and pragmatic approaches, the study examined the diversity of argumentative methods used by the Holy Qur'an in presenting the material of the dialogue, and revealing it between length and shortness, severity and softness, according to what the context with each interlocutor requires.

Keywords: Argumentation, Pragmatic, Quranic dialogue..

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، منزل كتابه بلسان عربي مبين؛ حُجة على المنكرين إلى يوم الدين. أما بعد،

فإنَّ الحجاج من أهم المباحث التي تُعنى بها التداوليَّة؛ فاللغة نشاط حجاجي، والإنسان كائن محاجج بالفطرة، وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [سورة الكهف: ٥٤]؛ لذلك أولاه الدارسون اهتمامًا كبيرًا؛ لارتباطه بنجاح العملية التواصلية أو إخفاقها.

ويرتكز الحجاجُ أساسًا على دراسة التقنيات والآليات- نحو الإشارات والعبارات والحجج- التي يتبنَّاها المتكلم للتأثير في المتلقي، وتغيير معتقداته في موضوعٍ ما؛ إذ لا يمكن لأي متكلمٍ في أي محفل أن يستغني عن هذا الأسلوب الذي يطمح إلى استهواء المتلقي واستمالته.

والقرآن الكريم خطاب دعوة وإصلاح، يروم التأثير والإقناع والاستمالة؛ لدفع المتلقي إلى تعديل سلوكه وموقفه أو تغييره بناءً على اعتقاد لديه بكل وسائل الإقناع المعروفة؛ ذلك لأنّ القرآنَ خطابٌ يجمع بين أثنائه إمكاناتٍ حجاجيةً هائلة، تُسخّرُ في خدمة غرضه الأسمى -الدعوة إلى الله- بلغة قائمةٍ على الحجاج؛ لأن كل ما ورد في القرآن الكريم من معانٍ مرتبطةٍ بألفاظٍ محددةٍ بقدَر، يتلقاها السامع أو القارئ؛ لغاية معينة هي إحداث التأثير فيه.

وقد خاطبَ القرآن الكريم المخلوقات كافةً: البشر وغير البشر، بما جُبلوا عليه وما خُلقوا له؛ فكان خطابه حجاجيًّا بالدرجة الأولى، يُعنى بالإقناع والتأثير وعدم إلزام الآخر، ودفعه إلى التسليم والعمل بمقتضى القناعة المتولدة عن حجج القرآن وأدلته؛ لذلك كان من أهم خصائص الحوار القرآنيّ **حجاجيته الإقناعية**؛ فالقرآن الكريم حجة الله العظمى للبشرية. قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الأنعام:١٤٩].

يرمي هذا البحث (الحجاج في الحوار القرآنيّ مع غير البشر – مقاربة لسانيَّة تداوليَّة) إلى دراسة مبحث من مباحث التداوليَّة –وهو الحجاج– ، مع بيان الخصائص العامة للحجاج في الحوار القرآنيّ مع غير البشر، والدلالات المستفادة منه، ثم بيان عناصر الحجاج وأدواته في الحوار القرآنيّ مع غير البشر.

يتمحور البحث حول مشكلة مفادها: (ما البنية الحجاجية للحوار القرآنيّ مع غير البشر؟ وما خصائصها التداوليَّة؟)

وسيذكر هنا **الأسئلة الأساسية** التي تقوم عليها مشكلة البحث وهي:

- ما خصائص الحوار الحجاجي في القرآن الكريم مع غير البشر؟
- ما أهم الأدوات والتقنيات الحجاجية الموظفة في الحوار القرآنيّ مع غير البشر من منظور تداوليّ؟
- فيمَ تتجلى عناصر الحجاج في الحوار القرآنيّ مع غير البشر؟
- إلى أيِّ مدًى يمكن الظفَر بعناصر السُّلَّم الحجاجي في نصوص الحوار القرآنيّ مع غير البشر؟

وفق مشكلة البحث وأسئلته انبثقت **الفرضيات** الآتية:

- يختص الحوار القرآنيّ مع غير البشر بتنوع الأساليب البلاغية والحجاجية.
- تتنوع تقنيات الحجاج في الحوار القرآنيّ مع غير البشر.
- تتجلى عناصر الحجاج في الحوار القرآنيّ مع غير البشر في الأساليب الخبرية.
- يمكن الظفر بعناصر السُّلَّم الحجاجي في نصوص الحوار القرآنيّ مع غير البشر.

وأما **عينة البحث**، فقد اقتصرت على نصوص الحوار القرآنيّ التي ورد فيها الحوار مع غير البشر.

وبطبيعة نشأة أي بحث، لا بد من ارتكازه على **دراسات سابقة**، فقد عمد هذا البحث إلى المدونات الحجاجية، وأهم ما استند إليه هو كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، للدكتور حافظ إسماعيلي علوي، فهو موسوعة حجاجية لا غنى لأي باحث في الحجاج عن الاستناد إليه والإفادة منه، كما أفاد البحث من الكتب

والبحوث والرسائل التي وقفت على الحجاج في الحوار القرآنيّ، حتى خرج بحلته هذه التي تنماز عن غيرها بأن هذا البحث لا يختص في الخطاب القرآنيّ، ولا في الحوار القرآنيّ عامة، بل يسلط الضوء على آيات القرآن التي تناولت الحوار مع غير البشر، فهو يختلف في المدونة وعينة البحث، وإجراءات التطبيق التي تعتمد على السلالم الحجاجية.

أولًا: نظرة عامة في الدلالتين اللغوية والاصطلاحية للحجاج:

أ) الدلالة اللغوية:

على حَسَب التعاريف اللغوية في المعجمات السائدة، وردت مفردة **(الحجاج)** في اللغة بعدة معانٍ، نحو: الجدال، والغلبة، والبرهان، والمنازعة، والإقناع.

يؤيد ذلك المعجم التاريخي للغة العربية الذي أورد نحو ستة وعشرين مدخلًا في الجذر (حَجَج)[١]، ذاكرًا أنَّ هذا الجذر قد ورد "في عدد من النقوش العربية الجنوبية، من بينها نقش سبئيٌّ يعود تاريخه إلى القرن الثالث الميلادي (Arbach/3/3) ورد فيه الفعل (حجّ)، الذي أشارَ إلى حج الملك للإله في المعبد.. كما ورد الجذر نفسه في عدد ممن النقوش العربية الشمالية، من بينها نقش ثمودي غير مؤرخ، ورد فيه الفعل بصيغة الأمر، بما معناه (حجِّج، ساعد غيرك على الحجّ)"[٢].

وأورد المعجم النظائر الساميَّة لهذا الجذر، الذي احتفظت به من العربية الأم، وذكر دلالاته في الآرامية، والعبرية، والسريانية، والجعزية، فالمعاني الكلية التي تندرج تحت الجذر (حجج) ترد بمعنى "(القصد والغاية، العظم النابت حول العين، أحد أركان الإسلام، السَّنَة)"[٣].

ب) الدلالة الاصطلاحية للحجاج:

تباين مفهوم الحجاج من حقل إلى آخر وفق نظرة الدارسين المعاصرين من العرب وغيرهم للحجاج، ويعود ذلك إلى تنوع الجوانب التي نظروا من خلالها: (الجانب البلاغي، اللساني، الفلسفي، الأصولي)، وقد أدى هذا التنوع إلى ظهور عدة مفاهيم مثيرة للالتباس يصعب الإحاطة بها؛ لكنها أثْرت حقلَ الدراسات اللسانيَّة عامة، والحجاجية خاصة.

---

(١) ينظر: المعجم التاريخي للغة العربية، اتحاد المجامع العلمية العربية، مجمع اللغة العربية بالشارقة، منشورات القاسمي، ط١، ٢٠٢٢م، ج١٨ (ح)، ص٥٠٨ إلى ص٥٤٥

(٢) المعجم التاريخي للغة العربية، ج١٨ (ح)، ص٥٠٨، ٥٠٩

(٣) المرجع نفسه، ص٥٠٩

وقد عرَّف (أبو جادي) مصطلح الحجاج فقال: هو "كل فعل كلامي أو بحث من أجل ترجيح خيار من بين خيارات محتملة وكائنة، يهدف إلى دفع الفاعلين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء موقف كان موجودًا ومحتملًا، فأساسه قائم على الجدل والمخاطبة."(١)

وقد جاء في المعجم الفلسفي أنَّه: "سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة، أو هو طريقة عرض الأدلة وتقديمها."(٢) وجاء أيضًا أن: "الحجاج يقوم على جمع الحجج؛ لإثبات رأي أو إبطاله. والمحاجَّة طريقة تقديم الحجج والإفادة منها."(٣)

وعند (أبي بكر العزاوي)، فإن "الحجاج فعالية تداوليَّة خطابية جدلية، وهو تقديم مجموعة من الحجج التي تخدم نتيجة معينة. وهو أيضًا منطق اللغة والاستدلال المرتبط باللغات الطبيعية"(٤). ويعرفه (صمود) فيقول: "الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، فأنجع الحجاج ما وُفِّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وُفِّق على الأقل في جعل السامعين مهيَّئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة".(٥)

---

(١) بوجادي، خليفة: في اللسانيات التداوليَّة مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، سطيف، بيت الحكمة، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٦

(٢) بوجادي، خليفة: في اللسانيات التداوليَّة مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص٨٧

(٣) مدكور، إبراهيم: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٦٧.

(٤) العزاوي، أبو بكر: حوار حول الحجاج، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء-المغرب، ط١، ٢٠١٠م، ص٩.

(٥) صمود، حمادي: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب – تونس (د. ت)، (د.ط)، ص٢٩٩

وقد توصل بعض الدارسين المحدثين إلى تعريف للحجاج، وجدوه جامعًا مانعًا شاملًا لكل آليات الحجاج وخطواته، وينص هذا التعريف على أن: "الحجاج جنسٌ خاص من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعوات مستندة إلى تبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطًا منطقيًّا بقصد إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في مواقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية".(١)

أي أنه يلزم للحجاج وجود طرفين مختلفين في الرأي، يسعى كل منهما إلى طرح موقف أو رأيٍ ما حول إشكال معين، ويحاول أحدهما إقناع الآخر بإدلاء حجج قوية مقنعة يجتهد في عرضها؛ ليجذبه إلى صفّه، أو ليظهر تفوقه عليه بالانتصار في الرأي.

ثانياً: آليات الحجاج في الحوار القرآنيّ مع غير البشر:

القرآن الكريم ذو بنية طبيعية حوارية إقناعية، تشتمل على أنماط عديدة من الاستدلال والأدوات الحجاجية؛ ذلك لأنه يحاور أصحاب ملٍل وعقائد مختلفة. والإسلام دين الحوار، لكنه الحوار المتكافئ القائم على إرادة الفهم، وإرادة العلم، وإرادة التعايش بعيدًا من مختلف الإكراهات السياسية والاجتماعية والنفسية والفكرية؛ ما يدفع كل مسلم صادق في إيمانه إلى أن يسلك سبيل القرآن في الدعوة بكل الوسائل الحوارية التي أنشأ عليها أبنيته الحجاجية.

ولا يغيب عن المتأمل في نصوص الحوار القرآنيّ أنَّ القرآنَ الكريم تبنَّى الأسلوبَ العلميّ، واستعمل أساليب الحجاج العقليّ بوصفه منهجًا أصيلًا من مناهجه. وهذه الأساليب العلميّة في الحجاج هي جزء أصيلٌ من أساليب القرآن الواسعة غير المحدودة. ولا يختلف اثنان في أنَّ للقرآن الكريم منهجٌ متفرد في سبك نصوصه على وَفْقِ أبنيته الحجاجية المعجِزة، وأساليبه الخاصة التي ينماز بها من غيره من

---

(١) العبد، محمد: النّص الحجاجي العربي- دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٢م، العدد ٦٠، ص٤٤.

الكتب. قال تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [سورة الفرقان:٣٣].

انطلاقًا من هذا الخطاب الإلهيّ المعجز الذي تحدَّى به الخالق جَلَّ ثناهُ البشرَ بإنزال كتابٍ حقٍّ وأحسنَ تفسيرًا، يأتي هذا الفصل؛ الذي صُنّفت مطالبه على وَفْق قطبَي الحوار (المرسِل –المتلقّي) في الحوار القرآنيّ؛ لدراسةِ الأبنية الحجاجية وعناصرها في نصوص الحوار مع غير البشر.

١) الحِجاج في قول اللّه -تعالى- للملائكة:

سورة البقرة، ورد أول قولٍ فيها من الله –سبحانه وتعالى– للملائكة حول خلق آدم –عليه السلام– يقول تعالى في سورة البقرة:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠- ٣٣].

ينحصر كلام الله -سبحانه وتعالى- مع الملائكة في النص السابق حول خلق آدم واستخلافه؛ لأنه قبل خلق آدم لم يكن إلا الله تعالى والملائكة، وصنف آخر من المخلوقات، وهو الجنّ الذي عاث في الأرض فسادًا. والله سبحانه وتعالى هو الطرف الأعلى في الحوار، وهو تعالى لا يُراجَع، ويتضح من كلام الملائكة عدم الاعتراض على الله، ولا شك في حكمته في خلق آدم وجعله خليفة ولا طعن فيه، فإنَّ الملائكة معصومون عن كل ذلك بحكم الخلق. وقد أورد (الزمخشري) في تفسير هذه الآية الحكمة من هذا الحوار فقال: "فإن قلت: لأيّ غرض أخبرهم بذلك؟ قلت: ليعلّمَ عبادَهُ

المشاورة في أمورهم قبل أن يُقدِموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونُصَحائهم، وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيًّا عن المشاورة"(١).

وذكر (الآلوسي) نحو ذلك بقوله: "وفائدة قوله -تعالى- هذا للملائكة تعليم المشاورة؛ لأن هذه المعاملة تشبهها"(٢).

جاء نسق القول على النحو الآتي:

- الله -سبحانه وتعالى-: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً} [سورة البقرة:٣٠].

- الملائكة: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} [سورة البقرة:٣٠].

- إخبار من الله -سبحانه وتعالى-: {إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة:٣٠].

- أسلوب خبري غرضه التقرير: {وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [سورة البقرة:٣١].

- أمر من الله سبحانه وتعالى: {أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [سورة البقرة:٣١].

- تنزيه من الملائكة لله -تعالى-: {سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ} إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ} [سورة البقرة:٣٢].

- نداء الله -سبحانه وتعالى- مخاطبًا آدم -عليه السلام-: {يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ} [سورة البقرة:٣٣].

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد (ت ٥٣٨هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (تحقيق): عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث- بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج١/ ص٦١.

(٢) الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (تح) محمد أحمد وعمر السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٠م، ج١/ ص ٢٢١.

- خبر غرضه التقرير: {فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ} [سورة البقرة:٣٣].

- الله سبحانه وتعالى: {أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ} [سورة البقرة:٣٣]. استفهام من الله -سبحانه-، لغرض التقرير.

وردت عناصر حجاجية كثيرة في هذا الحوار، أذكر منها:

- المؤكدات: من الذات الإلهية، الله يقول -وقوله الحق-: (إني جاعل- إني أعلم). التأكيد الثاني: أسلوب القصر من الملائكة {لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ} [سورة البقرة:٣٢] النفي مع الاستثناء يفيدان تأكيد قصور علم الملائكة عن أمور لم يعلّمهم إياها الخالق -تبارك وتعالى-، وهو العليم الحكيم، ثم جاء التأكيد من الملائكة (إنك أنت العليم الحكيم)، زيادة على إقرارهم بعلم الله -تعالى- وحكمته في التصرف في كل أموره.

قوله: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ} [سورة البقرة:٣٠]، "الخليفة اسم يصلح للواحد وللجمع، **(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ)** {الأنعام: ١٦١}، كما يصلح للذكر والأنثى، فإن قيل: ما الفائدة في قول الله تعالى للملائكة: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ}؟ مع أنه منزه عن الحاجة إلى المشورة. الجواب من وجهين؛ الأول: أنه تعالى علم أنهم إذا اطلعوا على ذلك السر أورَدُوا عليه ذلك السؤال، فكانت المصلحة تقتضي إحاطتهم بذلك الجواب، فعرَّفهم هذه الواقعة لكي يُوردِوا ذلك السؤال، ويسمعوا ذلك الجواب.

الوجه الثاني: أنه تعالى علّم عباده المشاورة"(١). وهو العليم الحكيم.

- الاستفهام من الملائكة: (أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا ؟) دلالة على تعجب الملائكة من خلق الله خلقًا يعيث في الأرض فسادًا، "فهو استفهام محمول على

(١) الرازي، التفسير الكبير، ج١/ص ٣٨٩.

حقيقته مضمَّن معنى التعجب والاستبعاد من أن تتعلق الحكمة بذلك"(١)، فالاستفهام ورد كناية عن تعجب الملائكة ويحمل بدلالته طلب تفسير الأمر من الله تعالى. يقول صاحب (التنوير): "والذي أقدم الملائكة على هذا السؤال أنهم علموا أن الله لما أخبرهم أراد منهم إظهار علمهم تجاه هذا الخبر؛ لأنهم مفطورون على الصدق والنزاهة من كل مؤاربة، فلما نشأ ذلك في نفوسهم، أفصحت عنه دلالة تدل عليه يعلمها الله –تعالى– من أحوالهم، ولا سيما إذا كان من تمام الاستشارة أن يبدي المستشار ما يراه نصحًا، وفي الحديث: (المستشار مؤتمن، وهو بالخيار ما لم يتكلم)، يعني إذا تكلم فعليه أداء أمانة النصيحة"(٢).

● الفعل المضارع: (يفسد، يسفك)، المضارع يدل على التجدد والاستمرار والحدوث، "أي يحصل منه الفساد تارة وسفك الدماء تارة أخرى؛ لأن الفساد والسفك ليسا بمستمرين من البشر"(٣)، ولا يعم الفساد والسفك من سائر البشر كذلك، فناسب الفعل المضارع موضوع الفساد وسفك الدماء. ولفظاعته وقبحه فقد أفردته الملائكة بالذكر وخصصته من عموم الفساد، وفي هذا المعنى الدقيق يبرز صوت الجناس بين كلمتَي: (يفسد – يسفك)، فإن مناسبة الألفاظ بعضها بعضًا تستدعي لفت الانتباه لها، والإصغاء إليها؛ ففيها من إيهام النفس أن الكلمة المكررة ذات معنًى واحد، فإذا أمعن المرء فيها النظر رأى للكلمتين معنيين مختلفين(٤).

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١/ ص٣٨٠.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها. والحديث المذكور لم أجده بهذا السياق، وإنما أخرجه القُضاعي في مسند الشهاب ج١ ص ٣٨ برقم: ٤ بلفظ: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ، فَإِنْ شَاءَ أَشَارَ وَإِنْ شَاءَ سَكَتَ، فَإِنْ أَشَارَ فَلْيُشِرْ بِمَا لَوْ نَزَلَ بِهِ فَعَلَهُ».

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١/ ص٣٨٢.

(٤) ينظر: شرف، حفني محمد: الصور البديعية بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة الشباب، ط١، ١٩٦٦م، ص١٠.

● ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، استئناف على تعجب الملائكة حين قالوا (أتجعلُ فيها)، والحمد هو التمجيد والثناء، والتقديس هو التنزيه والتطهير، "فمعنى (ونحنُ نسبحُ بحمدِك ونقدسُ لكَ) نحن نعظمك وننزهك، والأول بالقول والعمل، والثاني باعتقاد صفات الكمال المناسبة للذات العلية، فلا يتوهم التكرار بين (نسبح)، و(نقدس)"(١). وقد وردت الجملة اسمية للدلالة على الدوام والثبات، فهم دائمو الحمد والتسبيح والتقديس لله –تعالى–.

● فكان الرد الإلهي عليهم (إني أعلم ما لا تعلمون)، فمهما يكن لديكم من علم، فلا علم يفوق علم الله الخالق –جل علاه–. ثم جاء الاستفهام التقريري من الله تعالى بعد أن بيّن للملائكة سعة علمه سبحانه وتعالى: (ألم أقل لكم ...؟).

● النفي: (ما لا تعلمون)، لا علم يفوق علم الله تعالى، فهو الحق، وهو بكل شيء عليم.

● النداء: (يا آدم)، تنبيهًا لآدم، وتخصيصًا له عن من سواه، وتكريمًا له من الله تعالى بمناداته باسمه الذي سمَّاه به.

● الشرط غير الجازم: (فما أنبأهم بأسمائهم قال ...).

● الضمائر: تنوعت بين ضمائر الغائب والمخاطب والمتكلم، وكان لحضورها دور في المحافظة على اتساق النص، ومساندة الموقف الحجاجي.

● حضور النعت (أنت العليم الحكيم) يعزز الحوار الحجاجي. فالعليم "من صفات المبالغة التامة في العلم، والمبالغة التامة لا تتحقق إلا عند الإحاطة بكل المعلومات، وما ذاك إلا هو سبحانه وتعالى، فلا جرم أنه ليس العليم المطلق إلا هو، فلذلك قالوا: (إنك أنت العليم الحكيم)، على سبيل الحصر. و(الحكيم) يستعمل على وجهين؛ أحدهما: بمعنى العليم فيكون ذلك من صفات الذات، ... فكأن الملائكة قالت: أنت العالم بكل المعلومات، فأمكنك تعليم آدم، وأنت الحكيم في هذا الفعل

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١/ص ٣٨٤.

المصيب فيه. وعن ابن عباس: أن مراد الملائكة من الحكيم، أنه هو الذي حكم بجعل آدم خليفة في الأرض"(١).

● الحذف: قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ) فيه إضمار، أي أن الله تعالى علم آدم أسماء المسمَّيات، والمخلوقات، وجميع الكائنات التي تعبد الله تعالى، سواء أكانت من الموجودات أم من غير الموجودات، وأما سبب تعريف كلمة (الأسماء) فقد بيَّنه (ابن عاشور) فقال: "يفيد أن الله علم آدم كل اسم ما هو مسمَّاه ومدلوله، والإتيان بالجميع هنا متعين، إذ لا يستقيم أن يقول: وعلم آدم الاسم"(٢).

وقوله تعالى: (فلما أنبأهم بأسمائهم) سياق الآية يقتضي جملًا حذفت من الساق، دل عليها المقام: (أنبئوني بهؤلاء وأنبأهم بهم). وحجاجية الحذف هنا للإيجاز؛ فالجمل المحذوفة مفهومة من السياق، ولا داعيَ لذكرها.

قوله تعالى: (فلما عرضهم): عوض استعمال (عرضها)، من حجاجية استعمال الملفوظ؛ فإنَّ في المسميات ما لا يكون عاقلًا، "لأنه لما كان في جملتها الملائكة والإنس والجن وهم العقلاء، فغلب الأكمل؛ لأنه جرت عادة العرب بتغليب الكامل على الناقص كلما غلبوا"(٣).

- وفي سورة سبأ، ورد قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ:٤٠- ٤٢].

السُّلَّم الحجاجي الآتي يبين قول الله تعالى مع الملائكة يوم الحشر:

{النتيجة: كل من يعبد غير الله فهو ظالم لنفسه ويلقى في النار} .

---

(١) الرازي: التفسير الكبير، ج١/ص ٤٥٢.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١/ ٣٨٧.

(٣) الرازي، التفسير الكبير، ج١/ ٣٩٨.

ح٣ ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون.
ح٢ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعًا ولا ضرًّا.
ح١ أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون.

يتبين من السُّلَّم الأسئلة التي يطرحها الحق تبارك وتعالى على الملائكة، وهو العليم بالإجابة، ولكن ليتخذ منهم شهداء على الكافرين.

والسُّلَّم الحجاجي الآتي يبين الحجج التي قدمها الملائكة لتبيان براءتهم مما فعله المشركون.

{النتيجة: براءة الملائكة من الكفار ومما يعبدونه من دون الله}.

ح٣ أكثرهم بهم مؤمنون.
ح٢ بل كانوا يعبدون الجن.
ح١ سبحانك أنت ولينا من دونهم.

فالسُّلَّم أعلاه يعالج قضية براءة الملائكة من شرك الكفار، بدءًا بالحجة الأولى (ح١): (أنت ولينا من دونهم)، وقد سبق هذه الحجة تسبيح الله وتنزيهه عما لا يليق به بقولهم: (سبحانك)، ثم جاءت الحجة الثانية (ح٢): (بل كانوا يعبدون الجن)، مرتبطة بالرابط الحجاجي (بل)، أعقبه الفعل الماضي (كانوا) تأكيدًا على الفعل الذي كانوا يعملونه وهو (عبادة الجن)، ثم جاءت الحجة الثالثة (ح٣) (أكثرهم بهم مؤمنون)، وقد وردت بالجملة الاسمية لثباتها، تأكيدًا على إدلائهم الحجة التي قدموها، وزيادة في التقرير والتأكيد على صدق مقولهم، ما جعلهم يستعلمون لفظة (مؤمنون) عوض (يؤمنون)؛ لتبرئة أنفسهم مما يعبدون من دون الله. وهذه الحجج التي أدلت بها الملائكة إنما ستكون شهادة لهم يوم القيامة على كل من يتخذ غير الله إلهًا ومعبودًا، فالعبودية الحق خالصة له سبحانه وتعالى.

٢) الحجاج في قول الله -تعالى- للسموات والأرض:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾[فصلت: ١١].

يعني تعالى ذكره وارتفع إلى السماء. قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾ أي: جيئا بما خلقت فيكما، أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقتُ فيك من الشمس والقمر والنجوم، وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات، وتشقَّقِي عن الأنهار قوله تعالى: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ جئنا بما أحدثتَ فينا من خلقك، مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك.

من أبنية الحجاج وعناصره في الآية السابقة:

- أفعال الأمر: (ائتيا)، والأمر من الله –تعالى– لمخلوقاته واجب التنفيذ.
- ضمائر الوصل والفصل التي وردت لتخدم السياق الحجاجي.
- التركيب العطفي: (طوعًا أو كرهًا): لا يدل على التخيير، بل على الإجبار، وعلى حتمية تنفيذ المخلوق أمر الخالق.
- (قالتا أتينا طائعين): يتجلى جانب حجاجي هنا في استعمال ضمير المتكلم؛ إذ إن سياق الآية للمثنى: (ائتيا– قالتا)، فما وجه الحجاج في قولهما (أتينا طائعين) الذي ورد بصيغة الجمع؟ بيانه كما ذكر المفسرون: يحتمل أن يكون القصد مجيء السموات السبع والأرضين السبع كلها، والاحتمال الثاني: أتينا طائعين بما فينا –أي بما في السماء من نجوم وأقمار وكواكب وغيرها، وبما في الأرضين من طبقات ومخلوقات وغيرها–. قال (ابن عاشور): "إنما جاء قوله (طائعين) بصيغة الجمع؛ لأن لفظ السماء يشتمل على سبع سموات، كما قال تعالى إثر هذا: {فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ} [سورة فصلت:١٢]؛ فالامتثال صادر من جمع، وأما كونه بصيغة جمع المذكر، فلأن السماء والأرض ليس لهما تأنيث حقيقي. وأما كونه بصيغة جمع العقلاء، فذلك ترشيح للمكنية المتقدمة، مثل قوله تعالى: {إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ} [سورة يوسف:٤]"(١). والله تعالى أجلُّ وأعلم.

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير،ج٩/ص٨١٣.

٣) الحجاج في قول الله تعالى للجنّ:

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٢٨- ١٣٠].

يكلم الحق -تبارك وتعالى- الجن يوم القيامة كلام إنكار وتوبيخ، لإغوائهم الناس ووسوستهم لهم، إلى حدّ أن اتخذهم بعض البشر أولياء لهم، مستعملًا أسلوب النداء (يا معشر) وهي اسم جمع. واستعمل حرف التحقيق والتوكيد (قد) تبعها فعل ماضٍ للدلالة على تأكيد وقوع الحدث، ولا يصدر من الله تعالى غير الحق والصدق(١).

فيرد بعض مَنِ اتخذ الجنَّ أولياء وهم من الإنس بأسلوب النداء: (ربنا) الدال على قرب المنادى، ثم يدلون بحجتهم الواهية، بعدما أُفحموا ولم يجدوا جوابًا مقنعًا: (استمتع بعضنا ببعض) أي كان بيننا مصالح ومنافع متبادلة، إلى أن قرب الأجل وهو يوم القيامة، وانقضى زمن الإمهال، فهم يقرون بسوء أفعالهم، بل إنهم لا يمكنهم الكذب بحضرة جلال الله تعالى، وفي كلامهم نبرة التحسُّر والندم.

فيقول لهم الله تعالى: (النار مثواكم)، و"ضمير الخطاب موجَّه إلى الإنس، فإنهم المقصودون من الآية الكريمة"(٢). وتتجلى حجاجية الردّ بجملة اسمية، لدلالتها على الثبات واللزوم؛ فالنار مصير كل مخالف مشرك بالله تعالى.

---

(١) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٤/ ص٥٠.

(٢) المرجع السابق، ج٤/ ص٥٠.

ووجه الحجاج في الاستثناء (إلا ما شاء الله) أنه كناية عن خلود الكافرين في نار جهنم خلودًا غير مخصوص بزمن ولا بحال، إلا من كتب الله له أن يخرج منها إلى الجنة. وهو من باب تأكيد الشيء بما يشبه ضده(١).

ما سبق بيانه، يفهم منه أنَّ الغرض الحجاجي أو النتيجة التي ترمي إليها الآيات الكريمات هي الاعتبار والموعظة والتحذير من الاغترار بولاية الظالمين.

٤) الحجاج في حوار سليمان عليه السلام مع الهدهد:

قال -تعالى-: {وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ} [سورة النمل:٢٠-٢٤].

يتساءل النبي سليمان عليه السلام عن سر غياب الهدهد وعدم استئذانه من سيده النبي سليمان عليه السلام، الذي علَّمه الله تعالى لغة الطير والجن، فما كان من سليمان عليه السلام إلا أن توعده بالعذاب الشديد أو الموت عند عدم الإتيان ببيان واضح لسبب غيابه، يمتثل به أمام سيده. مجيء المؤكدات (اللام مع نون التوكيد- إنَّ- المفعول المطلق) في الألفاظ (لأذبحنَّه- لأعذبنَّه- ليأتينّي- عذابًا) من شأنها أن توثق التبادل الحواري بين الشخوص.

يمكن تمثيل حجاجية حوار النبي سليمان في السُّلَّم الحجاجي الآتي:

النتيجة: {بيان هيبة الملك النبي سليمان -عليه السلام-، وعدم رضاه عن تأخير الهدهد} .

(١) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٤/ ص٥١.

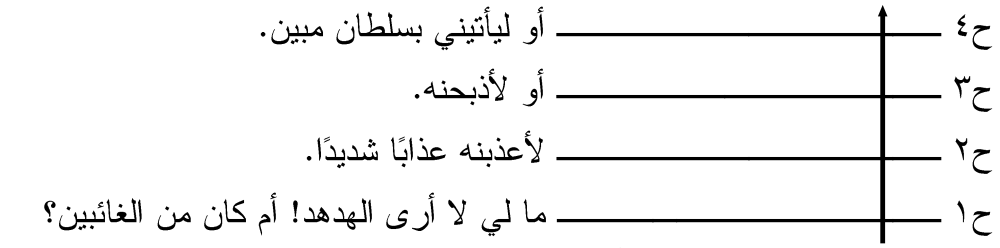

وبعد حضور الهدهد متلهفًا على سليمان؛ أعلمه بسبب تأخره، أسرع يجذب انتباه سليمان عليه السلام ليخبره عن سبب تأخره فقال: (أحطت بما لم تحط به) وهنا استعمل الفعل الماضي مع أسلوب النفي؛ ليبين عظم الأمر الذي أحاط به الهدهد وحده، رغم سعة علم سليمان عليه السلام وهو النبي المرسل، الذي أوتي ما لم يؤتَه أحد من العالمين، وأردف الهدهد: (وجئتك من سبأ بنبأ يقين)، صفة (اليقين) التي أتبعت النبأ تؤكد أهمية الخبر الذي جاء به، وأنه لا يكذب فيما يقوله، فقد وجد قومًا تحكمهم امرأة وهذا مستغرَبٌ في تقدير هذا المخلوق: (إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ). امرأة قوية؛ فعرشها يدل على مكانتها العالية عند قومها، لكنهم يعبدون الشمس من دون الله، فقد زين الشيطان أعمالهم، أوَ ليس الأجدى والأحرى بهم أن يعبدوا خالقهم لا أن يعبدوا المخلوق؟

تعددت وسائل الحجاج في حوار الهدهد مع نبي الله سليمان عليه السلام؛ فاستعمل النعوت (يقين- عظيم- رب العرش العظيم)، وجانسَ بين لفظَي: (سبأ - نبأ)، كما أنه نوَّعَ في أساليب حواره بين الإثبات والنفي والعرض، كل ذلك كي يثبت حجته في سبب تأخيره؛ ليقتنع سيده سليمان عليه السلام.

اجتهد الهدهد في إخبار النبي سليمان عليه السلام بما رآه ووصف له المشاهد التي وقع عليها، وهذا الخبر غير معلوم لدى المخاطَب (سليمان)؛ فالمتكلم (الهدهد) أنجز فعلًا إخباريًّا، تحقق فيه شرط الإخلاص؛ لصدقه فيما نقله للمخاطَب، فضلًا عن أهمية الأمر لديه؛ فالفعل الكلامي في هذه الآيات: {إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ

مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ }، بنية كبرى تضمنت أفعالًا كلامية صغرى، هي: (إني وجدت امرأة تملكهم – أوتيت من كل شيء– وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله – زين لهم الشيطان أعمالهم – فصدهم عن السبيل).

كلها أفعال إنجازية، تحمل قوة إنجازية مباشرة متمثلة بالإخبار، دلت عليه الدلالة الحرفية للملفوظ، وهو ما يقتضيه المقام، فقصد المرسِل (الهدهد) هو إبلاغ المتلقي (سليمان) أو إخباره بواقعة شاهدها، بوصفها له. ومن المؤشرات اللغوية المعدلة للقوة المنجزة المباشرة، تكرار الضمير الإحالي (التاء) في (وجدتُ، وجدتُها) الدال على المتكلم، والضمير الإحالي (الهاء) في (تملكهم، لها، وجدتها، قومها) الدال على المتحدث عنها (ملكة سبأ)، فكلها مؤشرات معدلة للقوة الإنجازية ومؤكدة للواقعة.

يمثل هذا الفعل فعلًا حجاجيًّا يتألف من حجج متساوقة تخدم نتيجة مضمرة هي (الحثُّ على دعوتهم إلى الله تعالى)، ويتكون هذا الفعل من فعلين جزئيين، هما:

الفعل الكلامي١: (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم)، يتألف من ثلاث حجج متساوقة، يربط بينها الرابط الواو، وتقوي كل حجة منها الأخرى، وتتضمن هذه الحجج نتيجة مضمرة، هي (سلطان ملكة سبأ، وعظمة مُلكها).

الفعل الكلامي٢: (يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون)، يتألف هذا الفعل من ثلاث حجج متساندة، يربط بينها الرابطان الواو والفاء، من روابط التساوق الحجاجي، وتتعاضد هذه الحجج لتحقيق النتيجة الظاهرة (فهم لا يهتدون).

-مضمون القضية الحجاجية: غياب الهدهد.

-فعل الاقتضاء: سؤال الهدهد عن سبب غيابه.

-المحتوى القضوي: إخبار المخاطَب بأمر لا يعلمه.

وبالنظر إلى الحجج القوية التي قدمها الهدهد، فقد أراد سليمان عليه السلام التثبت أكثر من الأمر، بأن يلمس دليلًا قويًّا بنفسه، فقال: (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين).

تجد أنَّ الخبر الذي أتى به الهدهد يقتضي التصديق بالقضية، وقد استطاع المتكلم (الهدهد) إقناع المتلقي(سليمان)، ويظهر ذلك من ردة فعله (الفعل التأثيري) المتمثل في جواب النبي سليمان عليه السلام عما سمعه، يظهر في قوله تعالى: (اذهب بكتابي هذا فألقه..) [النمل: ٨٢]؛ فالأفعال (اذهب- ألقه- تولّ- سننظر)، كلها أفعال إنجازية مباشرة، من الأفعال التوجيهية، منجزة بقوة مباشرة، دلت عليها الصيغة الأمرية للأفعال، والتي تقتضي من المتلقي فعل ما أمره به المتكلم؛ لسلطته ومكانته.

يلحظ أن النسق الحواري يكتمل بأبنيته الحجاجية التي يكون فيها شخص منادى أو مأمورًا أو مستفهمًا، فجاء الاستفهام على لسان سليمان عليه السلام: (ما لي لا أرى الهدهد- أصدقت أم كنت من الكاذبين- ماذا يرجعون) للتهديد.

ومن النداء ورد: (يا أيها الملأ) على لسان ملكة سبأ للتنبيه.

ثم تكرر الأمر على لسان سليمان عليه السلام للهدهد، أمرًا حقيقيًّا: (اذهب- فألقه- تولَّ- فانظر- ارجع).

أما سؤاله لبلقيس (أتمدونن بمال) فهو ليس للسخرية ولا للإنكار، إنما لتقليل ما عند البشر وتعظيم نعمة الله عليه. وسؤاله: (أيكم يأتيني) للأمر، أما (أأشكر أم أكفر) فيه تضاد لإثبات أن الهداية من عند الله، (أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون، أهكذا عرشك) للاختبار(١).

ثم أمر الهدهد بالعودة إليهم مرةً أخرى: "ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون*".

(١) ينظر: عبد المطلب، محمد: الحوارات القرآنيَّة قراءة حجاجية، ص ٢٤٠.

السُّلَّم الحجاجي الآتي يبين الحجج التي قدمها سليمان –عليه السلام– في حواره مع الهدهد:

النتيجة: {دعوة سليمان عليه السلام مملكة سبأ إلى التوحيد}

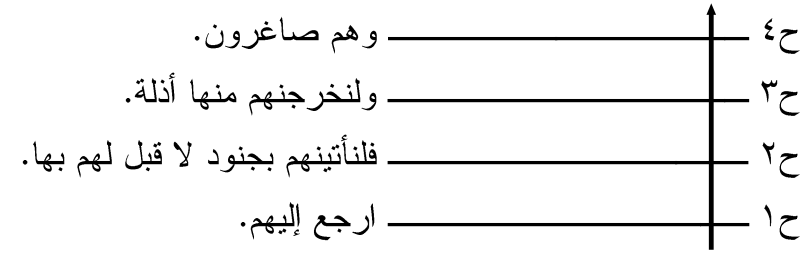

تنوعت الحجج التي ساقها سليمان عليه السلام للرد على الهدهد في الحوار الذي دار بينهما، بدءًا بالأمر في الحجة الأولى، ثم بالمضارع المتصل بالنون المثقلة الدالة على التوكيد في الحجتين الثانية والثالثة، وختم حججه بجملة اسمية ابتدأها بضمير الغائب (هو) للدلالة على أن كل من لا يؤمن بالله وحده سيعذبه الله، ويجعله من الأذلاء مهما بلغت قوة ملكه وجيشه. والحجج المقدمة تبين شدة رغبة سليمان عليه السلام في نشر التوحيد، ونيته في محاربة من يرفض ذلك.

بعد أن ألقى الهدهد الكتاب الذي أرسله النبي سليمان عليه السلام في مجلس بلقيس، أخذته وقرأته، وأخبرت الملأ من علية القوم وأشرافهم بأنه أُلقِي إليها كتاب كريم، رفيع محترم، يدعوهم فيه صاحبه إلى عدم التكبر والعلو عليه، والاستجابة لأمره بالانقياد إليه طائعين، مسلمين لله تعالى :﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١ ﴾ [النمل: ٢٩- ٣١].

إبلاغُ ملكة سبأ قومَها بمضمون الرسالة التي أرسلها إليهم نبي الله سليمان عليه السلام في الآيةِ يمثلُ فعلًا كلاميًّا إنجازيًّا يحملُ قوةً إنجازية مباشرة متمثلةً في الإخبار؛ وهو ما يقتضيه سياق المقام.

ومن المؤشرات اللغوية المعدلة للقوة الإنجازية تكرار استعمال (إنَّ المؤكدة)؛ لتأكيد موضوع الإرسال، أي: تأكيد الخبر؛ لتثبيت ذلك عند المتلقي، وتحقيق شرط

الإخلاص في الخبر، وبيان صدقه، وكذلك ورود الضمير الإحالي (الهاء) مرتين في (إنه) إحالة إلى الكتاب؛ إشارة إلى أهمية الكتابِ مضمونِ القضية، والدال على أهمية الكتاب وصفه بالكريم، ما يُظهر احترام الكتاب، وبيان عظيم شأنه، وقيل: إنها نعتته بالكريم؛ لأنه "كان مختومًا، وقيل: لأن الرسولَ كان طيرًا، فعلمت أن من تكون الطير مسخرة له لا بد أنه عظيم الشأن"(١).

ويمثل هذا الفعل فعلًا حجاجيًّا مؤلفًا من ثلاث حجج متساوقة، تخدم نتيجة مضمرة، كأن تكون الاستشارة (الطاعة أو الرفض).

*مضمون القضية الحجاجية: كتاب سليمان عليه السلام.

*فعل الاقتضاء: إلقاء الهدهد كتاب سليمان عليه السلام على بلقيس.

*المحتوى القضوي: إبلاغ المخاطَب بالكتاب ومضمونه.

٥) الحجاج في الحوار مع الجوارح والجلود:

ورد في **حوار الكفار مع جوارحهم وجلودهم** قوله -تعالى-: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت: ١٩- ٢١].

هذا الحوار من الحوارات الغيبية التي ستقع مستقبلًا بين الكفار وجلودهم يوم القيامة، وقد أخبرنا الله عنها؛ إذ لا يمكن لأحد أن ينكر شيئًا مما اقترفت يداه، أو يكذب أمام رب العباد، لأنهم لا يمكنهم إنكار أي أمر فعلوه، وستشهد الجوارح والجلود بأعمال الكفر والفسوق والعصيان، وكل ما اقترفته الجوارح في الدنيا، ستشهد عليهم بذلك في الآخرة ويُفتضحون، وسيغضب الكفار من جراء هذا الصنيع، فيوجهون سؤالهم إلى الجلود.

---

(١) القشيري (عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. ت: ٤٦٥هـ): لطائف الإشارات، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، ط٣، ٢٠٠٠م، ج٣/ ص٣٥.

سياق الحوار على النحو الآتي:

- الكفار: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ ﴾؟

- جلود الكفار: ﴿ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾.

وتخصيص الأبصار والأسماع والجلود بالشهادة على هؤلاء دون بقية الجوارح؛ لأن للأبصار اختصاصًا بمشاهدة دلائل المصنوعات الدالة على انفراد الله –تعالى– بالخلق والتدبير، فذلك دليل وحدانيته في إلهيته، ولأن للسمع اختصاصًا بتلقي دعوة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، وتلقي آيات القرآن، فسمعهم يشهد عليهم بأنهم كانوا يصرفونه عن سماع ذلك كما حكى الله عنهم بقوله تعالى: {وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ} [سورة فصلت:٥]. و"شهادة الجلود لأن الجلد يحوي جميع الجسد لتكون شهادة الجلود عليهم شهادة على أنفسها، فيظهر استحقاقها للحرق بالنار لبقية الأجساد دون اقتصار على حرق موضع السمع والبصر. ولذلك اقتصروا في توجيه الملامة على جلودهم؛ لأنها حاوية لجميع الحواس والجوارح"(١).

من أدوات الحجاج التي يمكن استنباطها من الآية الكريمة:

- الاستفهام: (لمَ شهدتم علينا؟) للتقريع والتوبيخ، وأما "إجراء ضمائر السمع والبصر والجلود بصيغتي ضمير جمع العقلاء؛ فذلك لأن التحاور معها صيرها بحالة العقلاء يومئذٍ ..؛ فالكافرون يحسبون أن جلودهم لكونها جزءًا منهم لا يحق لهم شهادتها عليهم؛ لأنها تجر العذاب إليها"(٢).
- الضمائر: التي بلغت في مجملها (اثني عشر ضميرًا) تنوعت بين ضميري الغائب والمخاطب والمتكلم.

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير،ج٩/ص ٨٢٧.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٩/ص ٨٢٨.

● قولهم (أنطقنا الله): فيه رد على الكافرين بعدم تمكنهم من السيطرة والكلام إلا بأمر من الله، وهم ساعتئذٍ في قبضة تصرف الله مباشرة، فهو إقرار من الجلود بعظمة الخالق الذي كانوا يكذبون به في الدنيا، أعقبه التوكيد: (أنطق كل شـــيء)، تمجيد لله الحق، الذي أنطق كل شيء بقدرته -تعالى-.

يمكن تمثيل محاورة الجلود للكافرين في السُّلَّم الحجاجي الآتي:

النتيجة: {عظيم قدرة الخالق جل علاه} .

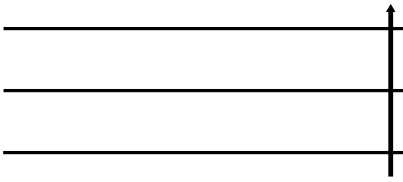

ففي يوم القيامة، يطبق الله -تعالى- على أفواه الكافرين، فـــلا ينطقـــون إلا بأمره -جل وتعالى-. مصداقًا لقوله تعـــالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ [النمل: ٨٤، ٨٥].

وقال -تعالى- في آية أخـــرى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٦٥، ٦٦].

يختم الله تعالى على أفواههم كي لا ينكروا أفعالهم ويقولوا: "والله ربنا ما كنا مشركين"[١].

وفي ذكر الأخبار التي رُويت عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- في هذا الشأن: (عن أنس قال: **كُنَّا عِنْدَ رَسولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ- فَضَحِكَ، فَقالَ: هلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قالَ: قُلْنَا: اللَّهُ ورَسولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: مِن مجادلةِ العَبْدِ رَبَّـــهُ؛**

١) أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير، ص٣٨٧.

يقولُ: يا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قالَ: يقولُ: بَلَى، قالَ: فيَقولُ: فإنِّي لا أُجِيزُ علَى نَفْسِي إلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قالَ: فيَقولُ: كَفَى بنَفْسِكَ اليومَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وبِالْكِرَامِ الكَاتِبِينَ شُهُودًا، قالَ: فيُخْتَمُ علَى فِيهِ، فيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قالَ: فتَنْطِقُ بأَعْمَالِهِ، قالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بيْنَهُ وبيْنَ الكَلَامِ، قالَ: فيَقولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وسُحْقًا؛ فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ)[1].

(١) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب (الزهد والرقائق)، حديث رقم (٥٤٠٥).

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من الحقائق والنتائج، أهمها:

١) تنوعت أساليب الحجاج التي استعملها القرآن الكريم في عرض مادة الحوار مع غير البشر، والكشف عنه ما بين الطول والقصر والشدة واللين، وفق ما يقتضيه السياق ومقتضى الحال.

٢) سلك القرآن أرقى المسالك في التفاهم مع الخصوم، واتخذ الحوار وسيلةً لكسبهم والتأثير فيهم، وليس في القرآن وسيلة للتفاهم مع الخصوم غير الحوار، أما القوة فإن التهديد بها لا يكون إلا بعد الإخفاق مع المتحاورين وإصرارهم على الباطل مع سطوع الحق.

٣) أبرزت الدراسة اهتمام القرآن بموضوعات الحوار، بدلالة كثرة ورود لفظة (القول) فيه، وبينت أن الحجج الواردة في حوارات القرآن دليل على أنَّ هذا الدين ليس تلقينًا، ولا إجبارًا، بل كانت الحجج ترمي إلى إحداث التأثير في المتلقين.

٤) يعد الحوار من أرقى وسائل التواصل والتفاهم، وجعل القرآن الكريم الحوار وسيلة وسبيلًا لحل كل القضايا مع أعدائه ومخالفيه، كما رسخه منهجًا للوصول إلى الحق وإقناع الآخر بالنهج الوسط السليم.

٥) يلتقي الحوار مع الحجاج في بعض العناصر (المرسِل المرسَل إليه- القضية (الموضوع)- المقام – اللغة)، ويختلف عنه في طرائق التواصل، والترتيب، وعنصر النزاع.

٦) يمكن حصر الأمور التي تتحكم في المشهد الحواري في الآتي: (موضوع الحوار، السياق، طبيعة المتحاورين، لغة التواصل الحواري)، حيث يمكن أن تلمسَ من خلال مفردات كل محاورِ ما يمكن به الحكم على صاحبه من خلال اختياره للألفاظ.

المصادر والمراجع:

** **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

١) آل صوينت، مؤيد عبيد: **الخطاب القرآنيّ دراسة في البُعد التداوليّ**، مكتبة الحضارات، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

٢) آن روبول، وباك موشلار: **التداوليَّة اليوم علم جديد في التواصل**. ترجمة: سيف الدين دعفوس، د. محمد الشيباني، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٢م.

٣) أعراب، حبيب: **الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري**، عالم الكتب الحديثة، عمان- الأردن، (ط١)، ٢٠١٨م.

٤) إبداح، عبد الرحمن سعود: **أدب الخطاب في القرآن الكريم**، دروب ثقافية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط١، ٢٠١٦م.

٥) إبراهيم، ماجد عبد السلام: **الحوار ودوره في الدعوة والتربية والثقافة**، دار الكتاب الثقافي للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، ٢٠١٩م.

٦) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تح: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.

٧) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ): **لسان العرب**، دار المعارف- القاهرة.

٨) ابن فارس، أبو الحسين أحمد القزويني الرازي(ت ٣٩٥هـ): **مقاييس اللغة**، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٩) بوجادي، خليفة: **في اللسانيات التداوليَّة مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، سطيف، بيت الحكمة، ط١، ٢٠٠٩م.

١٠) علوي، حافظ إسماعيلي، وآخرون: **الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة**، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، ناشرون، لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

١١) العزاوي، عقيد خالد حمودي: **الحجاج في الحديث النبوي الشريف** – منظورًا بلاغيًّا، دار العصماء، سوريا – دمشق، (ط١)، ٢٠٢١م.

١٢) العزاوي، أبو بكر: **حوار حول الحجاج**، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠١٠م.

١٣) العبد، محمد: **النّص الحجاجي العربي- دراسة في وسائل الإقناع**، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٢م.

١٤) عبد المطلب، محمد: **الحوارات القرآنيَّة قراءة حجاجية**، دار النابغة، طنطا، ط١، ٢٠٢١م.

١٥) ابن عاشور، محمد الطاهر: **التحرير والتنوير**، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠٢١م.

١٦) قشيري (عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. ت: ٤٦٥هـ): **لطائف الإشارات**، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، ط٣، ٢٠٠٠م.

١٧) مدكور، إبراهيم: **المعجم الفلسفي**، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٨) **المعجم التاريخي للغة العربية**، اتحاد المجامع العلمية العربية، مجمع اللغة العربية بالشارقة، منشورات القاسمي، ط١، ٢٠٢٢م، ج١٨.

فهـرس الموضـوعـات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	الملخص	٢٥٥
٢-	Abstract	٢٥٦
٣-	المقدمة	٢٥٧
٤-	أولًا: نظرة عامة في الدلالتين اللغوية والاصطلاحية للحجاج:	٢٦٠
٥-	ثانيًا: آليات الحجاج في الحوار القرآنيّ مع غير البشر:	٢٦٢
٦-	الخاتمة:	٢٨١
٧-	المصادر والمراجع:	٢٨٢
٨-	فهـرس الموضـوعـات	٢٨٤